دراسات

لماذا نقرأ سورةَ الكهفِ كلَّ يومِ جُمُعَة؟

أ.د. عبد السميع الأنيس*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النبي الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الكتاب الأول الذي تجِبُ العناية به هو: القرآن الكريم: تلاوة، وتدبُّراً، وتطبيقاً، وعملاً. ومن عاش مع القرآن الكريم فإنه سيجد:

- أنَّ له حلاوة لا يتذوقها مريض القلب بالشهوات والشبهات.
- وله روح يسري في الأرواح فتحيا به، وتطمئن القلوب، وتسكن النفوس.
- وللقرآن العزيز عزة لا يدركها من لا يقبل بقلبه عليه.
- وللقرآن المجيد هيمنة لا يشعر بها من غفل عن تدبُّره، والتعرُّف على أساليبه ومعانيه.
- وللقرآن الحكيم تفصيل لكل شيء، وفصل في قضايا الكون الكبرى والحياة لا يستوعبها من أعرض عن حكمه.
- وللقرآن العظيم هيبة، يشعر كل من سمعه بالفخامة والكبرياء، وهذا لا يمكن لبشر مهما أوتي من قوة البيان أن يأتي بمثله.
- وللقرآن كرم، لما فيه من كريمِ الأخلاق ومعالي الأمور، ولأنَّه يُكرِّم حافظه ويُعظِّم قارئه، قال تعالى: ﴿**إنَّه لقرآنٌ كريم**﴾

وإنَّ من جميل الأبحاث: التعرُّف على السور القرآنية التي جاء التوجيه النبوي بتكرارها، كقراءة سورة الكهف كل يوم جمعة، وغيرها.

---

* أستاذ الحديث النبوي وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة

ويوم الجمعة هو يوم من أيام الإسلام، وموسم من مواسمه المباركة، وعيد من أهم أعياده، ومناسبة للإقبال على الله سبحانه، وتذكير الغافلين، ليقبلوا فيه على الله سبحانه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**"[١].

وقد كان من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيم هذا اليوم، وتشريفه، وتخصيصه بعباداتٍ يختص بها عن غيره، ومن ذلك قراءة سورة الكهف فيه.

وكنت أتساءل في نفسي وأنا أقرؤها عن الحكمة من قراءتها في كل يوم جمعة،لاعتقادي أنَّ وراء هذا التوجيه النبوي حِكَماً عظيمة، وفوائد جليلة، وكنت أدوِّن ما يظهر لي من ذلك بعد مراجعة التفاسير المعتمدة رجاء الانتفاع بها، ولعلي أحسب مع أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الرسالة هي حصيلة تلك القراءة التدبُّرية حول هذه السورة المباركة، وفيها بيان أهم مقاصدها، وأسرارها، وبعض حِكَم قراءتها، وقد ذكرت سبع حِكَم، هي بمثابة كواكب نورانية، **تضيء لقارئها نوراً ما بين الجمعتين**، كما أنها **تضيء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق في الدنيا والآخرة**. وقد تضمنت دروساً عظيمة تنفع المسلم في حياته وآخرته،بلغ عددها (٧٠) درساً.

وقد لاحظت من الأحاديث الواردة في قراءة هذه السورة كل يوم جمعة أنَّ لها ارتباطاً بالفتن، ولا سيما فتنة الدجال الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن خروجه في آخر الزمان فبيَّنت ذلك. ولا شك أنَّ لها أثراً عظيماً في حفظ الإيمان، في عصرالفتن والتحولات الكبرى، وفي العصر الممهِّد لظهور الدجال.

وأنا لا أدَّعي أنَّ هذا العمل تفسير لهذه السورة؛ فإنَّ علم التفسير من العلوم العظيمة التي لا يتصدى له إلا من اكتملت له علوم كثيرة، وفهم وتقوى من الله تعالى. وأنى لمثلي أن يرتقي هذا المرتقى الصعب، وحالي معه كحال إخوة يوسف معه، عندما قالوا:﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾ [يوسف: ٨٨]

وحالي في هذه الخواطر كحال العلامة الألوسي، فقد قال في تفسير قوله تعالى: **(قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ)**: "ولا يبعد عندي أن يراد بالنور والكتاب المبين: النبي صلى الله عليه وسلم ولا

[١] رواه مسلم (٨٥٤)

شك في صحة إطلاق كل عليه- عليه الصلاة والسلام- ولعلك تتوقف في قبوله من باب العبارة، فليكن ذلك من باب الإشارة"[١].

لماذا نقرأُ سورةَ الكهفِ يوم الجُمُعَة؟

قرأت سورة الكهف يوم الجمعة في الرابع من ذي الحجة عام (١٤٣٦) من الهجرة في المسجد النبوي. ثم أعدت قراءتها يوم الجمعة في الحادي عشر من ذي الحجة في مكة المكرمة. وسألت نفسي ما الحكمة من توجيه النبي صلى الله عليه وسلم أمته لقراءة سورة الكهف كل يوم الجمعة؟ وبادئ ذي بدء لا بدَّ من بيان: أننا نقرؤها اتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم الذي أرشد إلى قراءتها، وهناك حِكَم أخرى تمت الإشارة إليها في الأحاديث الواردة فيها، ومنها ما هو اجتهادي، وقد بلغ عددها سبع حِكَم، هي بمثابة كواكب نورانية،**تضيء لقارئها نوراً ما بين الجمعتين**، كما أنها **تضيء له من النورما بينه وبين البيت العتيق في الدنيا والآخرة**، وتفصيلها في الآتي:

الحكمة الأولى: قراءة سورة الكهف سبب لتنزُّل السكينة

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال: **"تلك السكينة تنزلت للقرآن"**[٢]. قال الإمام النووي في معنى السكينة: "هنا أشياء، المختار منها: أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيها طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة". وهذا الصحابي الذي كان يتلوها هو: أُسيد بن الحُضير.

إنَّ قراءة القرآن سبب لتنزُّل الرحمات، والبركات، والسكينة، وهذا الحديث يؤكد نزولها بسبب قراءة سورة الكهف، مما يدل على فضلها. ولهذا فإنَّ قراءتها يوم الجمعة له أثر فيتنزل السكينة على قارئها.

الحكمة الثانية: أثرها في الوقاية من فتنة الدجال، ومن كل الفتن

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث ترشد إلى أنَّ قراءة سُورَةِ الْكَهْفِ لها أثر في الوقاية من فتنة الدجال، ولكن هل تقرأ سورة الكهف كلها، أم عشر آيات من أولها، أم من آخرها؟ والجواب: أنَّه تبيَّن لي من دراستي للأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف أمران:

---

[١] روح المعاني (٣/ ٢٦٩)

[٢] أخرجه البخاري برقم (٣٦١٤) ومسلم برقم (٧٩٥). والشَطَن: الحبل.

الأول: أنَّ قراءة فواتحها، و خواتيمها تحفظ من فتنةالدجال، يدل على ذلك: حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكرَ رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، وفيه: "..**فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، فإنها جوارُكم من فتنتِه**.."[١].

ولهذا جاء الأمر بحفظها في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال**"[٢]. وفي رواية أخرى: "**مَنْ قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**"[٣]. ويؤيد هذه الرواية ما جاء عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"**مَنْ قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، فإنه عصمة له من الدجال**"[٤].

وما دامت تنفع في وقت ظهور الدجال، فهي تنفع قبل ظهوره من باب أولى.

الثاني: أنَّ قراءة السورة كلها يوم الجمعة سبب من أسباب إضاءة النور لقارئها، ووقاية من فتنةالدَّجَّالِ، والفتن التي يتعرض لها في حياته، يدل على ذلك ما جاء:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**»[٥].

---

[١] جزء من حديث نبوي أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفاته وما معه (٢٩٣٧) بلفظ: "فَمَنْ أدركه منكم"، وأبو داود (٤٣٢١)، واللفظ له، والترمذي (٢٣٩٠)

[٢] أخرجه مسلم (٨٠٩) وأبو داود (٤٣٢٣) والترمذي (٢٨٨٦)وقال: حسن صحيح. ولفظه:"مَنْ حفظ الثلاث الآيات من أول الكهف". فكيف نوفّق بين هذه الرواية، ورواية مسلم:"مَنْ حفظ عشر آيات.."؟

قال بعض أهل العلم: حديث العشر متأخر، ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث،.. وقال الشوكاني: لا منافاة بين رواية الثلاث الآيات والعشر الآيات؛ لأنَّ الواجب العمل بالزيادة فيقرأ عشر آيات من أولها" كما في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ١٩٨)

[٣] رواه مسلم (٨٠٩)

[٤] سنن النسائي الكبرى (١٠٧٨٤). قال ابن كثير في تفسيره: "فيحتمل أنَّ سالماً سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء".

[٥] أخرجه موقوفاً: أبو عبيد القاسم بن سلَّام في فضائل القرآن، رقم (٢١١)والدارمي (٣٤٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٥٤/٣) من طريق سعيد بن منصور.

وأخرجه مرفوعاً: الحاكم في المستدرك (٣٦٨/٢) من طريق نُعيم بن حماد، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٥٤/٣) من طريق يزيد بن مخلد: خمستهم: (أبو عبيد، والدارمي، وسعيد بن منصور، ونُعيم بن حماد، ويزيد بن مخلد)عن هُشيم، عن أبي هاشم، عن أبي مِجْلَزٍ، عن قَيْسِ بنِ عَبَّادٍ، به.

ولفظ نُعيم بن حماد: «أضاء له من النور ما بين الجمعتين»، ولفظ الدارمي: «ليلة الجمعة»،قال الحافظ ابن حجر في أماليه: كذا وقع في روايات: "يوم الجمعة" وفي روايات "ليلة الجمعة" ويجمع بأنَّ المراد اليوم بليلته والليلة بيومها".

وفي رواية:« **مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَدْرَكَ الدَّجَّالَ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، - أَوْ قَالَ: لَمْ يَضُرُّهُ-،...**»[١]وهذا الحديث لا ينزل عن درجة الحسن بمتابعاته وشواهده، وقد قال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار: "هو حديث حسن، وهو أقوى ما ورد في سورة الكهف"[٢].

ولهذا الحديث شواهد نبوية تؤكد قراءتها، وتبيّن فوائدها وآثارها في الدنيا والآخرة، منها ما جاء:

١. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين**"[٣].

٢. عن زيد بن خالد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة، وإن خرج الدجال عصم منه**"[٤].

---

[١]أخرجه موقوفاً: عبد الرزاق في المصنف (٧٣٠) من طريق سفيان الثوري، بلفظ: "ومَنْ قرأ سورة الكهف كما أنزلت، ثم أدرك الدجال لم يسلَّط عليه، ولم يكن له عليه سبيل، ورفع له نور من حيث يقرأها إلى مكة".

والنسائي في السنن الكبرى (٣٤٨/٩) من طريق شعبة، ولفظه: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً من مقامه إلى مكة..".

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٣٦/٤) من طريق قبيصة بن عقبة، عن سفيان، واللفظ له.

كلاهما: (شعبة، وسفيان) عن أبي هاشم، عن أبي مِجْلَزٍ، عن قَيْسِ بنِ عَبَّادٍ، به.

والمراد من قوله: "كماأنزلت": "أنه يقرؤها كلها بغير نقص حساً ولا معنى". انظر فيض القدير (١٠٥/٣) نقلاً عن ابن حجر.

[٢]فيض القدير (٦/ ٢٥٧) وقد اختلف في رفع حديث أبي سعيد هذا ووقفه، قال ابن حجر: "ورجال الموقوف في طرقه كلها أتقن من رجال المرفوع.... وفي الباب عن علي، وزيد بن خالد، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم بأسانيد ضعيفة. كما في فيض القدير (١٩٩/٦).

قلت: وعلى القول بأنَّ حديث أبي سعيد موقوف، فإنَّ مثل هذا لايقال بالرأي، فيكون له حكم الرفع.

ومما ينبغي ملاحظته هنا: أنَّ هؤلاء الأئمة لما تكلموا على الخلاف في رفعه ووقفه لم يتعرض أحد منهم إلى نقد متنه، ولم يضعِّفوا لفظة: "يوم الجمعة" الواردة في عدد من روايات الحديث، كما ذهب إلى ذلك بعض المعاصرين!، فهي من زيادة الثقات، ولا تعارض أصل التلاوة.

[٣]أخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور (٤٧٧/٩)ومن طريقه الضياء، وقال المنذري في الترغيب (١٠٨٧):"رواه ابن مردويه بإسناد لا بأس به". وقال المناوي في فيض القدير (٦/ ١٩٩): "وخبر الضياء عن ابن عمر...ففيه محمد بن خالد، تكلم فيه ابن منده وغيره، وقد خفي حاله على المنذري حيث قال في الترغيب: لا بأس به، ويحتمل أنه مشّاه لشواهده".

[٤]أخرجه ابن مردويه، ومن طريقه الضياء في المختارة برقم (٤٣٠) وقال:"عبد الله بن مصعب لم يذكره البخاري، ولا ابن أبي حاتم في كتابيهما".

٣. وعن عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**"أَلا أخْبركُم بِسُورَة مَلأ عظمتها مَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض، ولكاتبها من الْأجر مثل ذَلِك، وَمن قَرَأَهَا يَوْم الْجُمُعَة غفر لَهُ مَا بَينه وَبَين الْجُمُعَة الْأُخْرَى وَزِيَادَة ثَلَاثَة أَيَّام، وَمن قَرَأَ الْعشْر الْأَوَاخِر مِنْهَا عِنْد نَومه بَعثه الله أَي اللَّيْل شَاءَ؟** قالوا: بلَى يَا رَسُول الله. قال: **سُورَة أَصْحَاب الْكَهْف"**[١].

وجاء فضل قراءتها في يوم الجمعة أيضاً عن ثلاثة من التابعين، وهذه نصوصهم:

قال الإمام، شيخ أهل الشام التابعي الجليل خالد بن معدان الحمصي، المتوفى سنة (١٠٣هـ)-وقد أدرك سبعين من الصحابة-: "من قَرَأَ سُورَة الْكَهْف فِي كل يَوْم جُمُعَة قبل أَن يخرج الإِمَام كَانَت لَهُ كَفَّارَة مَا بَينه وَبَين الْجُمُعَة، وَبلغ نورها الْبَيْت الْعَتِيق"[٢].

وقال التابعي الجليل أبو المُهلب الجرمي البصري: "من قَرَأَ سُورَة الْكَهْف فِي يَوْم الْجُمُعَة كَانَت لَهُ كَفَّارَة إِلَى الْجُمُعَة الْأُخْرَى"[٣].

وقال أبو قلابة الجرمي البصري: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمَنْ قَرَأَ الْكَهْفَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ حُفِظَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَإِذا أَدْرَكَ الدَّجَّالَ لَمْ يَضُرَّهُ وَجَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ..»[٤].

وقد اتفق العلماء على مشروعية قراءتها يوم الجمعة، وعملت به الأمة في كافة الأمصار على مرّ الأعصار، قال الشافعي: "وأحبُّ كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حال، وأنا في يوم الجمعة، وليلتها أشد استحباباً، وأحبُّ قراءة الكهف ليلة الجمعة، ويومها لما جاء فيها". وكان

---

[١] أخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور (٩/ ٤٧٧)وهذا الحديث أخرجه الديلمى في مسند الفردوس.

وقريب من هذا اللفظ أخرجه ابن الضرّيس في فضائل القرآن (١٩٧) قال: أخبرنا يزيد بن عبد العزيز الطيالسي، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن رافع، قال: «بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وفيه: «سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام بعدها، وأعطي نوراً يبلغ إلى السماء، ووقي من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه، حفظه وبعث من أي الليل شاء».

[٢] انظر الدر المنثور للسيوطي (٩/ ٤٧٨)

[٣] أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٠٨) ورجاله ثقات، وأبو المهلب: قال ابن سعد في الطبقة الاولى من أهل البصرة: كان ثقة قليل الحديث". تهذيب التهذيب (١٢/٢٢٥)

[٤] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٩٨) وقال: "هذا نقل إلينا بهذا الإسناد من قول أبي قلابة وكان من كبار التابعين، ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغاً".

قد قال: "وبلغنا أن من قرأ سورة الكهف وُقِي فتنة الدجال"[١]. وقال النووي: "يستحب أن يكثر في يومها وليلتها من قراءة القرآن والأذكار والدعوات والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقرأ سورة الكهف في يومها.."[٢].

وأما وقت قراءتها في يوم الجمعة، فهو يمتدُّ من الفجر إلى الغروب، لكن الوارد عن السلف أنهم كانوا يقرؤونها قبل أَن يخرج الإمام للخطبة، وقال إسحاق ابن إبراهيم: "خرجت مع أبي عبد الله- يعني: أحمد بن حنبل- إلى الجامع فسمعته يقرأ سورة الكهف"[٣]. وذهب بعض الفقهاء إلى أنَّ ليلة الجمعة وقت لقراءتها أيضاً؛ باعتبار أنَّ الليلة تابعة للنهار، قال المناوي: "فيندب قراءتها يوم الجمعة، وكذا ليلتها كما نص عليه الشافعي.."[٤]. **ومن جميل الشعر:**

فِي يَوْمِ جُمْعَتِنَا نَأْوِي إِلَى الكَهْفِ وَنَرْتَجِي رَشَداً مِنْ وَاسِعِ اللُّطْفِ

يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لَنَا، طَيِّبْ سَرَائِرَنَا يا عَالِماً كُلَّ مَا نُبْدِي وَمَا نُخْفِي

ولكن ما سرُّ حفظ قارئها من فتنة المسيح الدجال؟ والوقاية من الفتن كلِّها؟

أما عن حفظ قارئها من فتنة المسيح الدجال: فقد رأيت شرَّاح الحديث قد أشاروا إلى الحكمة من قراءتها، وبيَّنوا وجه ارتباطها بفتنة المسيح الدجال، وأثرها في الوقاية من فتنته.

قال القرطبي في معرض حديثه عن الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم: **"من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"**، وقوله: **"من آخر الكهف"**: "اختلف المتأولون في سبب ذلك، فقيل: لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فَمَنْ وقف عليها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يَهُلْهُ ذلك، فلا يفتتن به.

وقيل: لقوله تعالى: **(لِيُنذِرَ بأساً شديداً من لَدُنْهُ)** تمسكاً بتخصيص البأس بالشدة واللدنية، وهو مناسب لما يكون من الدجال من دعوى الإلهية، واستيلائه، وعظيم فتنته، ولذلك عظَّم النبي صلى الله عليه وسلم أمره، وحذَّر منه، وتعوَّذ من فتنته، فيكون معنى الحديث: أنَّ مَنْ قرأ هذه الآيات وتدبرها ووقف على معناها حذِره فأمن منه.

---

[١] الأم (٢٠٨/١) وانظر معرفة السنن والآثار للبيهقي (٢٠٧/٥)

[٢] الأذكار ص(٢٨٥)

[٣] انظر المغني (٦١٠/٢)

[٤] فيض القدير (١٩٨/٦)

وقيل: ذلك من خصائص هذه السورة كلِّها فقد روي: **"مَنْ حفظ سورة الكهف ثم أدركه الدجال لم يسلَّط عليه"**، وعلى هذا تجتمع رواية من روى: "أول سورة الكهف" مع رواية من روى: "من آخرها"، ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها.

وقيل: إنما كان ذلك لقوله تعالى: **(لِيُنذِرَ بأساً شديداً من لَدُنْهُ)**، فإنه يهون بأس الدجال، وقوله: **{ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا}**؛ فإنه يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من جنته وناره، وتنعيمه وتعذيبه، ثم ذمُّه تعالى لمن اعتقد الولد؛ يفهم منه: أنَّ من ادعى الإلهية أولى بالذم، وهو الدجال.

ثم قضية أصحاب الكهف؛ فيها عبر تناسب العصمة من الفتن، وذلك أنَّ الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: **{ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّئْ لنا من أمرنا رشدًا}**، فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا، وسألوا إصلاح أحوالهم، فأصلحت لهم، وهذا تعليم لكل مدعو إلى الشرك"[١].

وقيل: ويجوز أن يكون التخصيص بها لما فيها – أي: العشر الآيات الأول- من ذكر التوحيد، وخلاص أصحاب الكهف من شر الكفرة المتجبرة"[٢].

وأما الحكمة من قراءة العشر الأخيرة، فقد قال القاضي عياض: "قيل: لما فى قوله: **{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء}** وما بعده من التنبيه على أمر الدجال والتنبيه على المفتونين والأخسرين أعمالاً، وفي آخر الآيات من ذكر التوحيد، وأن لايشرك بالله أحداً[٣].

"وأما اختلاف الروايات بين أن تكون العشر من أولها أو من آخرها، فينبغي الجمع بينهما بقراءة العشر الأوائل والعشر الأواخر، ومَنْ أراد أن يحصل على الكمال ويتم له ما تضمنته هذه الأحاديث كلها، فليقرأ سورة الكهف كلها يوم الجمعة، ويقرأ كلها ليلة الجمعة"[٤].

وأما عن الوقاية من الفتن كلها، فإنها إذا كانت تحفظ من فتنة الدجال الأكبر فهي أولى بأن تحفظ من الفتن الأقل شراً. وقد رأيت العلامة الطيبي أشار إلى شيء من ذلك، وهو يشرح حديث الدجال، فقال: "التعريف فيه للعهد، وهو الذي يخرج في آخر الزمان يدعي الألوهية إما نفسه، أويراد به من شابهه من فعله، ويجوز أن يكون للجنس؛ لأنَّ الدجال من يكثر من الكذب والتلبيس، ومنه الحديث: **"يكون في آخر الزمان دجالون"** أي: كذابون مموهون. أقول: ويمكن أن يقال: إنَّ

---

[١] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٧٢/٧) وانظر عون المعبود (١١/ ٣٠٤)

[٢] فيض القدير (٦/ ١٥٣)

[٣] إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٧٧)وانظر شرح النووي على مسلم (٦/ ٩٣)

[٤] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ١٩٨)

أولئك الفتية كما عصموا من ذلك الجبار، كذلك يعصم الله القارئ من الجبارين. اللهم اعصمنا منهم وبدِّد شملهم"[١].

وعلى المسلم أن يبتعد عن الفتن صغيرها وكبيرها خشية الإصابة بشررها، ولنا أسوة بفتية الكهف، قال تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**﴾ الآية.

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من أدرك الدجال أن ينأى عنه، كما في قوله: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ**»[٢].

وقد لاحظت من قراءتي لهذه السورة المباركة أنَّ سبب حفظها من الفتن هو ما انطوت عليه من معان عظيمة، وقصص هادفة، سيأتي بيانها.

الحكمة الثالثة: قراءتها سبب لحصول النور، وأثره في النجاة من الفتن

ولعل من أهم حِكَم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقراءتها يوم الجمعة، هذا النور الذي يحصل عليه المسلم، كما دلَّ على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق**». وفي رواية: "**أضاء له من النور ما بين الجمعتين**"[٣]. ويلاحظ: أنَّ النور يضيء لقارئها:

١) مكاناً إلى البيت العتيق، وفيه إشارة إلى ربط المسلم بأفضل الأماكن في الأرض.

٢) زماناً ما بين الجمعتين، وفيه إشارة إلى الارتباط بأفضل الأيام: يوم الجمعة.

٣) وكتاباً، وهو القرآن، الذي وصف بأنه نور، ويلاحظ أنَّ الآية الأولى من هذه السورة المباركة هي: **(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً)**وفي هذا إشارة إلى أنَّ المتمسك بهذا الكتاب القيم، يضيء له من النور ما يحفظ به من الانحراف والاعوجاج والفتن.

ولا شك أنَّ ربط المسلم بهذه الأنوار الثلاثة: القرآنية، والزمانية، والمكانية له أثر عظيم في الحفظ من الفتن.

---

[١] الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (٥/ ١٦٤٨)

[٢] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال (٤٣١٩).

[٣] تقدَّم تخريجه.

إنَّ هذا النور سبب من أسباب انشراح الصدر لتقبُّل الإسلام، وتطبيق أحكامه، وهو من أعظم أسباب النجاة من الفتن كلها، لا سيما في عصر الدجال، وفي العصر الممهّد لظهوره، قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[الزمر: ٢٢].

الحكمة الرابعة: لأنَّها ترشد المسلم للاعتصام بالقرآن الكريم

إنَّ هذا الكتاب هو العاصم الوحيد من الفتن؛ لأنه الكتاب القيم، الخالي من الاعوجاج العقائدي، والسلوكي، قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا* قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾[الكهف: ١، ٢]

ونحن بأمسِّ الحاجة إلى هَدْيِه في عصر الفتن، وقراءةُ ذلك كل يوم جمعة تَذكيرٌ بهذه الحقيقة، وتثبيت لها. ولهذا حمد الله سبحانه نفسَه، وعلَّمنا أن نحمده على هذه النِّعمة العظيمة في بداية هذه السورة.

الحكمة الخامسة: إشارتها إلى قانون الابتلاء والاختبار في الحياة

نقرأ في هذه السورة، قوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ وهي تعلِّمنا: أنَّ الإنسان في هذه الأرض يعيش فترةَ اختبار، فهل سيحسن أم يسيء؟ وأنَّ زينة الحياة بهرج سرعان ما سينقضي وينتهي، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾[الكهف: ٨].

وقراءتها كل يوم جمعة تأكيدٌ لهذا المعنى في قلب المسلم، وتطبيق ذلك في حياته.

وقد ذكرت هذه الآية في أول السورة، وفيها إشارة إلى أنَّ الفتن في الأرض اختبار الإيمان، وأنَّ عاقبتها إلى زوال، كزوال ما على الأرض، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾[الكهف: ٨]كما أنَّ عاقبة الدجال إلى زوال، وأنَّ الخلاص منه سيتم على يد المسيح عيسى عليه السلام كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

سادساً: تضمنت قصصاً هادفة لها أثر إيماني عظيم في الوقاية من الفتن

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قصص القرآن: فيها حِكَمٌ كثيرة وأحكام، ومنها يتكشف وجه الارتباط بين الإرادات البشرية والأقدار الإلهية. وأما مقولة الفن للفن، ومحاولة تجريد القصص من أهدافها فهي لوثة، اعتنقها وروَّج لها أقوام لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. وقد قال الإمام الغزالي: «وأكثر

أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار، فكن حريصاً على استنباطها، ليكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه»[١].

وهذه السورة المباركة تربّي المسلم تربية إيمانية تساعده على مواجهة الفتن، ومن أبرزها فتنة الدجال، والفتن الواقعة في العصر الممهّد لظهوره.

وقد لاحظت من دراستي لهذه السورة أنها تتحدث عن أربع قصص،كل قصة تعالج نوعاً من أنواع الفتن الكبرى في الحياة. وهي نماذج حية تنفع المسلم أيما انتفاع في الوقاية من الفتن.

كما أني لاحظت من دراستي لحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أنَّ أعظم الفتن في عصره هي هذه الأربعة.

وقدَّرت أن هذه الفتن ستكون هي الأبرز في العصر الممهّد لظهوره، ولهذا كان لا بدَّ من بيان ذلك، لنربي أنفسنا وشبابنا على مفاهيم هذه السورة المباركة، فهي الحصانة الإيمانية أمام العواصف الهوجاء، والتحولات الكبرى التي نشهدها اليوم.

وبيان ذلك بالآتي:

القصة الأولى: قصة أصحاب الكهف والرقيم

وهي قصة تعالج فتنة الدين، فتنة تمثل فشو الإلحاد، والابتعاد عن تعاليم الوحي.

إنَّ فتية الكهف ثبتوا على الإيمان في وجه الطغيان، فكانت العاقبة لهم، وهي قصة تعلِّمنا درس الثبات في زمن الفتن الكبرى، والعواصف الهوجاء التي يتعرض لها أهل الإيمان، وأنَّ العاقبة لهم.

إنهم لجؤوا إلى الكهف والرقيم، ومعنى الرقيم: الكتاب المرقوم، قال البخاري في تفسير سورة الكهف من صحيحه: والرقيم: الكتاب. مرقوم: مكتوب من الرقم[٢].

وهذا يدل على أنَّ العزلة كانت بعلم وثيق وهداية تحفظ صاحبها من الفتن والغواية، قال تعالى: **(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)**[الكهف: ٩]

---

[١] إحياء علوم الدين (٣٤٣/٤)

[٢] (١١٠/٦) ونقل الطبري في تفسيره (٦٠٣/١٧) عدة أقوال، منها: الكتاب، ونقله عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال ابن كثير في تفسيره (١٣٩/٥):"وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير". وقد نقل ابن عطية والقرطبي قول ابن عباس مع زيادة، ونصهم: "الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم، فيها الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام". واختار هذا الرأي الأستاذ مناظر الكيلاني الهندي، نقله عنه الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه: "الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف".

وهي قصة تبشّر بانتصار المؤمن في وجه الطغيان مهما طال الزمن، فالعاقبة دائما للمتقين ولو بعد حين. وقد كانت الآيات التي جاءت في هذه السورة تشير إلى ذلك عندما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا* أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١]

ومن المعلوم أنَّ فتنة الدجال في الدين، فهو يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله تعالى. وقد قيل في بيان الحكمة من ذلك: "إنَّ فواتحها تتحدث عن فرار الفتية بدينهم من فتنة الملك، واعتصامهم بالكهف المانع من اطلاع الملك عليهم.

وهو يناسب تمام المناسبة حال فرار المؤمنين من المسيح الدجال، واعتصامهم بالجبال عنه. كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ**». قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ **قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»**[١].

كما أنَّ الآية العاشرة مختومة بدعاء يناسب حال الفارّين من الدجال، وهي قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ [الكهف: ١٠]

إنَّ تلاوة هذه الآيات وحفظها يستدعي استحضار ما انتهى إليه أمر الفتية الذين تمسكوا بدينهم، من حصول ألطاف الله لهم، ونجاتهم من فتنة الملك، والثناء الباقي لهم بعد موتهم، فيحصل عند المتعرضين لفتنة الدجال من الثقة بالله، واليقين بأن العاقبة للمتقين، ومن الإيمان ما يكون سببا لثباتهم على الحق".

والنجاة منها يكون:

١- بالصحبة الصالحة، كما فعل فتية الكهف.

٢- والمداومة على ذكر الله سبحانه، ودعائه، مع صحبة الداعين الذاكرين، وقد أرشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[الكهف:٢٨]. فشتان بين صحبة الذاكرين وصحبة الغافلين!

٣-الثبات على الدين؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا في أيام ظهور الدجال بالثبات، فقال: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا، وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فاثبتوا**»[١].إنَّ

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٥).

هذه الكلمة النبوية، والوصية الجامعة من أهم التوجيهات التي تنفع في الوقاية من الفتن والمآسي، لاسيما في العصر الممهد لظهور الدجال، فهي: البلسم الشافي، والدواء الكافي لما ينزل بالعباد، ويحيط بالبلاد.

القصة الثانية: قصة صاحب الجنتين

إنَّ فتنة صاحب الجنتين، كانت في المال، لقد أوتي أموالاً وأغلالاً، وبنين، وخدماً، لكنه كفر بنعمة الله تعالى ولم يشكر، ولهذا فهي قصة تعالج فتنة المال التي تعدُّ من أعظم الفتن في الحياة، لا سيما في آخر الزمن عند ما تأخذ الأرض زخرفها وتتزين بأحسن الزينة زمن الرفاهية المادية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[يونس: ٢٤]

ومن المعلوم أنَّ الدجال يأمر السماء فتمطر، ويفتن الناس بما في يديه من أموال.

والنجاة منها يكون:

١-بمعرفة حقيقة الدنيا، قال تعالى:﴿**كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً**﴾[الكهف: ٤٥]

٢-بيان الفرق الهائل بين زينة الحياة الدنيا وزينة الآخرة، قال تعالى:﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف: ٤٦] وقد جاءت هذه الآية بعد قصة صاحب الجنتين، تعقيباً عليها، ليعلّمنا الحق سبحانه بأن نبحث عن الزينة الباقية، فهي أفضل ثواباً، وأفضل أملاً، وليس الزينة الفانية، وزينة الآخرة هي: الباقيات الصالحات من الأعمال المرضية.

ويلاحظ: أنَّ فتنة المال والولد، تورث العجب الذي ينتج عنه اضطراب الرأي والتبجُّح، ومن أمثلة ذلك: قول صاحب الجنتين كما أخبر عنه الحق سبحانه:

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) [الكهف:٣٥،٣٦]

[١] رواه مسلم في صحيحه (٢٩٣٧)، وغيره.

فسبحان من أدرك بصره صاحب الجنتين، وهو يقلّب كفيه ندماً على ما جنتا، بعد أن رأى جنته خاوية على عروشها! قال تعالى: **(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا)**[الكهف: ٤٢]

ويلاحظ أنَّ صاحب الجنتين نسب النعم إلى نفسه، **(فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)**[الكهف:٣٤] ولم ينسبها إلى المنعم سبحانه، وعند ما احترقت جنتاه لم يجد فئة تقف معه وتنصره، وما كان منتصراً في حربه التي أعلنها على ربه تعالى، وكفره به. وقد قال تعالى: **(هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)**[الكهف: ٤٤] إنَّ هذه الآية تنطوي على حياة صاحب الجنتين بكل ما فيها من تكبر وغرور وطيش، ثم تبيّن المقصد من حكاية قصته، وهو: أنَّ الولاية بمعنى الملك والسلطان، إنما هي لله سبحانه؛ فهو خير ثواباً وعطاءً، وخير عقباً في الدنيا والآخرة.

وكان عليه أن يحمد الله على نعمه لا أن يكفر بها، وقد ذكَّره صاحبه فلم يتذكر، فكانت عاقبته الخذلان، ولهذا قال الحق في هذه السورة: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ [الكهف: ٥٧]

فهذه القصة تذكِّر بنهاية الظالم في الجانب الاقتصادي، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من شر فتنة الغنى، الذي يحمل صاحبه على الأشر، والبطر، والطغيان!.

القصة الثالثة: قصة نبي الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر

وهي قصة تعالج فتنة العلم: ممثلة بالتقدم العلمي الهائل، وانبهار الناس بمكتشفاته، إلى حد الافتتان بنتائجه، حتى أصبح العلم صنماً يعبد من دون الله تعالى، وأصبحت مقرراته هي مرجع الناس، لتحل محل الدين.

ومن المعلوم أنَّ الدجال يخبر الناس بأخبار عجيبة، ويقوم بأمور غريبة.

والنجاة منها يكون: بالتواضع، فإنَّ موسى عليه السّلام صاحب التوراة، وهو الرجل الذي كلمه الله عز وجل من غير واسطة، وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة، وهو مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع مع الخضر؛ لأنَّ الله خصه بعلم لدني لا يعرفه مع كونه رسولاً من أولي العزم، ومع ذلك فقد حكى الله عنه قوله:﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف:٦٩]. وهذا يدل على أنه أتى في طلب العلم بأعظم

أنواع المبالغة؛ لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، وتعظيمه لأرباب العلم أكمل وأشد[١].

والكبر في العلم له كوارث في الحياة والأحياء، وغطرسة العالم المتمدن لاتخفى على ذي بصيرة؛ لأنَّ الإنسان مهما حصَّل من علوم، ومهما اكتشف من حقائق، فإنَّ ما يجهله هو الأكثر. وعلينا أن نردَّ العلم دائما إليه سبحانه، فهو عالم الغيب والشهادة، وأما نحن فيصدق فينا قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[الإسراء:٨٥].

وقد جاء في حديث أُبَيّ بن كَعْبٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم: "..**قال الخضر يا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ، {قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ..**"[٢].

وكل أحداث هذه القصة تأكيد للمعنى الذي ذكرته. وهي قصة تعلِّمنا خطأ من يدعي الحتمية الأيديولوجية بمعنى أنَّ ما توصلوا إليه هو الأنموذج الأوحد، وأنه نهاية التاريخ! وأنَّ ما يجهله الإنسان هو أكثر بكثير مما يعلمه، مهما أوتي من تفوق علمي أومادي.

القصة الرابعة: قصة ذي القرنين

وهي قصة الحاكم الصالح المصلح، الذي سخَّر ما أعطي من قوة في الحكم، ورجاحة في العقل في صالح المقهورين والمظلومين. فهي تعلِّمنا سلوك الحكم الرشيد؛ فإنَّ فوائده لاتحصى في الحياة، وأثره الطيب ظاهر في الأحياء. والابتعاد عن الحكم الجائر.

ولهذا فهي قصة تعالج فتنة السلطة المعوجَّة، ويكون ذلك:

١- بالعدل، قال تعالى: ﴿**قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾[الكهف: ٨٧ - ٨٨]إنَّ فتنة الحكم تقوم على البهرجة والكذب وقلب الحقائق، وتحكُّم أفرادٍ بمصائر دول وشعوب. ومن

[١] انظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٤٨٣/٢١)

[٢] رواه البخاري رقم (١٢٢)

المعلوم أنَّ سيطرة الدجال الأكبر على أجزاء كبيرة من الأرض إنما يكون بخداعه، وبهرجته. وقصة ذي القرنين أنموذج يكتشف المسلم منها زيف الدجال والدجالين.

٢- إنَّ فتنة السلطة من أعظم الفتن، لا سيما في آخر الزمن، وإنما تعالج بالإخلاص. وبيان ذلك: أنَّ قصة ذي القرنين قصة ملك عظيم جمع بين العلم والقوة، وطاف الأرض يساعد الناس وينشر الخير، وقد تغلب على مشكلة يأجوج ومأجوج ببناء السد، واستطاع توظيف طاقات قوم لايكادون يفقهون قولاً، بينما نجد أنَّ الدجال يستغل سلطته في استعباد الناس وظلمهم.

الحكمة السابعة: تضمنها دروساً عظيمة

نتعلَّم من سورة الكهف دروساً كثيرة، وقد وَفَّق الله سبحانه لاستخراج (٧٠) درساً، وقد جعلت ذلك في خمس حلقات.

الحلقة الأولى: الدروس التي نتعلمها من هذه السورة المباركة

١- **تعلِّمنا سورةُ الكهف:** أن يكون ذكر الله على ألسنتنا في كل أحوالنا؛ لأنَّ أثر الإيمان يظهر على ألسنة المؤمنين الصَّالحين، وقد أحصيتُ في سورة الكهف عشرة مواقف تؤكِّد ذلك، وهي:

١) أوى الفتية إلى الكهف فكانت أول كلمة نطقوا بها: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[الكهف: ١٠].

٢) وعندما تساءلوا عن المدة التي استغرَقوها في نومهم، كان قولهم: ﴿**قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ [الكهف: ١٩].

٣) والمؤمنون الذين تنازعوا في أمر أصحاب الكهف ختموا نقاشهم بالقول: ﴿**رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ**﴾[الكهف: ٢١].

٤) اختلف الناس في عدَّة أصحاب الكهف، فأمَرَ الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ**﴾[الكهف: ٢٢].

٥) وعندما اختلفوا في مدَّة نومهم، أمره الله أن يقول: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**﴾[الكهف: ٢٦].

٦) وفي قصة صاحب الجنتين، قال المؤمن: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[الكهف: ٣٨].

٧) والكليم موسى عليه السلام يقول للعبد الصالح: ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: ٦٩].

٨) والعبد الصالح يقول: ﴿**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾[الكهف: ٨٢].

٩) وذو القرنين يقول: ﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾[الكهف: ٩٥].

١٠) ويقول مكررًا لفظ ربّي ثلاث مرات في آية واحدة: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾[الكهف: ٩٨]

وهو صورة من صور حب ذي القرنين لله سبحانه، فما أجمل أن يلهج الإنسان بذكر الله سبحانه! وأن يكرّر ذكره في مقاطع كلامه!

وما أكرمك على الله أيها المؤمن، حين أذن لك بأن تذكر كلمة (ربي) في صلاتك قرابة (٣٨٤) مرة، وتفصيله: في كل ركعة تقول: الحمد لله رب العالمين: مرة، وسبحان ربي العظيم في الركوع: ثلاث مرات، وتقول: ربنا ولك الحمد بعد الرفع من الركوع: مرة، وسبحان ربي الأعلى في السجدتين: ست مرات، وتقول بين السجدتين: رب اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني وعافني وارفعني: مرة، والمجموع: (١٢)

وإذا علمنا أنَّ عدد ركعات الفرائض والسنن المؤكدة مع الوتر: (٣٢) فيكون العدد: (٣٨٤) مرة، وكلما زادت التسبيحات،وزاد عدد الركعات زاد العدد.

٢- **تعلّمنا سورةُ الكهف:** درساً من دروس الرحمة التي كان يتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: **(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)**[الكهف:٦] فقد شبَّه النبيَّ صلى الله عليه وسلم وقومه حين تولَّوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأَسَف، برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم، وتلهفاً على فراقهم. إنَّ حسرات النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي على الإيمان، بينما حسرات أهل الدنيا على الدنيا.

٣- **تعلّمنا سورةُ الكهف:** أنَّ الدعاء له أهمية كبيرة في النجاة من الفتن، وقد أخبرنا الحق سبحانه عن دعاء فتية الكهف فقال: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ [الكهف: ١٠] فهذه الدعوة المباركة التي دعوا بها وهم في أقصى درجات الخوف، قد حوَّلت وحشة الكهف المظلم إلى رحمة إلهية، وآية قرآنية تتلى إلى قيام الساعة. وقد أخبرنا بها، وما علمها أحد إلا الله سبحانه.

إنَّ الله سبحانه يعلمنا أن نعتصم به في مثل ذلك الظرف، ونسأله أن يهيئ لنا الأمر الأرشد، وأن نتأسى بأصحاب الكهف، فنقتبس من حالهم، وندعو بدعوتهم الصادقة، لعل الله تعالى يدخلنا في كهف رحمته، ويحمينا من هذا الشر المستطير، ويقينا سبحانه من فتنة الدجال"[١].

٤- **تعلِّمنا سورةُ الكهف:** أنَّ الدعاء الذي دعا به فتية الكهف من الأدعية المستجابة، وقد كشفت عنه هذه السورة المباركة، وقد نطقتْ به ألسنةٌ صادقة، وقلوب مخلصة، ويعد كنزًا من كنوز القرآن العظيمة للداعين.

٥- **تعلِّمنا سورةُ الكهف:** ضرورة الالتجاء إلى الله تعالى في كل حال، لاسيما عند المخاوف والشدائد، فإذا خفت من أمر فالجأ إلى كهف الرحمة الإلهية، وأبشر بالنجاة؛ فإنَّ الذي نجَّى أصحاب الكهف قادر على أن ينجِّيك، واستحضر دعاءهم المبارك الذي أخبرنا الله عنه.

٦- **تعلِّمنا سورةُ الكهف:** أنك إذا دعوتَ الله سبحانه في حوائجك فلا تحدِّد؛ فإنَّ عطاءه أوسع مما تطلب. إنَّ أصحاب الكهف كانوا يَنشدون السلامةَ من عدوِّهم، فدعَوْا بها، فاستجاب لهم، وأكرَمَهم بآيات خلدت في القرآن، وأصبحت حديث الأيام.

٧- **تعلِّمنا سورة الكهف:** "أنَّ من فرَّ بدينه من الفتن، سلَّمه الله منها. وأنَّ من حرص على العافية عافاه الله. ومن أوى إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره. ومن تحمل الذلَّ في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب"[٢]. قال تعالى: **(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)**(الكهف: ١٠)

وأنَّ النوم قد يكون رحمة، لا سيما عند الشدائد والكربات، قال تعالى: **(فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا)**(الكهف: ١١)

٨- **تعلِّمنا سورة الكهف:** أنَّ الذي يربط على القلوب ويثبت الإيمان فيها هو الله سبحانه، قال تعالى:﴿**وَرَبَطْنَاعَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾ [الكهف: ١٤]

---

[١] هذه الخاطرة كتبها ابني محمد نور الدين وفقه الله لمراضيه.

[٢] ينظر تفسير السعدي(ص: ٤٧٣)

والربط على القلوب يذكِّرنا بضرورة التربية الإيمانية، والاهتمام بصلاح القلب، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**»[١].

ومن يقرأ تاريخ الأمة التربويَّ، يجد أنَّ التربية كان لها مؤسسات ومناهج، وكانت حواضر العالم الإسلامي تُولِي هذا الجانب العناية اللائقة به، وكان للعراق – ولبغداد عاصمة الخلافة خاصة- قَصَبُ السَّبْق في هذا المجال، وكان الأئمة المربُّون يمارسون التربية تدريسًا وتأليفًا وتطبيقًا.

أما اليوم فهذا المجال يُعاني مِن ضَعْف شديد، لا سيما في مناهجنا التعليمية، ومؤسساتنا التربوية، وهي مشكلة نعاني من آثارها. وينبغي على أهل الذِّكر والفكر والفقه المسارعةُ في معالجة هذا الموضوع.

ومن آثاره: ضُمُور لغة الحب بين المسلمين، وأذكر أنني سمعتُ أحد الإخوة بعد صلاة العيد في المسجد النبويّ، وهو يتضجَّر من كثرة المصلين من العجم! فقلت له: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[الحجرات: ١٠] ولا سبيل للنهوض الإيماني إلا بإحياء الربَّانية في القلوب والمجتمعات.

٩- **تعلِّمنا سورة الكهف:** أن نرفع شعار أين الدليل؟ وما أجملَ الشعارَ الذي رفعه فتيةُ الكهف: ﴿ **لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ** ﴾ [الكهف: ١٥] باختصار: أين الدليل الواضح؟ وهذا من الرُّشد الذي آتاهم الله إياه، فليكن شعارًا لنا في حياتنا العلمية والعملية: أين الدليل؟[٢].

وقوله تعالى: ﴿**بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ** ﴾صورة ناصعة من احتفاء القرآن بالحجة البيِّنة، والدليل الواضح، واستعمل كلمة: سلطان، وهو إيحاء بالقوة والغلبة، وهو أسلوب مهم من أساليب البحث العلمي الذي ينبغي أن نلقِّنه أجيالنا، وأن يكون من مفردات التربية العقلية لأبنائنا وطلابنا، إذا ما أردنا أن نملك ناصية التقدم العلمي.

١٠- **تعلِّمنا سورة الكهف:** أنَّ اليقين بالله سبحانه، والثقة به سبب الفرج عند الضيق، قال تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا**﴾[الكهف: ١٦]

وقولهم: **(يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)**صورة رائعة مِن صوَر يقينهم بالله، وحسن الظن به سبحانه، ودليل على أثر ذلك في النجاة، ودخولهم في كنف الرحمة.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٥١).

[٢] د. عبد الحكيم الأنيس.

لقد نطق فتية الكهف هذه الكلمة المباركة، فلم يخيّب الحق سبحانه ظنهم، وآواهم إلى كهف تميل الشمس عنهم طالعة وغاربة، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتُغيّر ألوانهم، قال تعالى: **(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ الله)**[الكهف: ١٧]

وهذا من دلائل قدرته وخفي لطفه، وحسن تدبيره لعباده الصادقين. كيف هيأ لهم سبحانه مكاناً تتوفر فيه كل وسائل الراحة، والحفظ والرعاية، وألهمهم التوجه إليه، والتحصن به؟! ما عليك أيها المسلم إلا أن تصدق مع الله سبحانه، وهو يتولاك.

١١- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنه إذا صحت البداية هدي الإنسان إلى أقوم السبل، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** [العنكبوت: ٦٩] ومن الأمثلة القرآنية على ذلك فتية الكهف: آمنوا بربهم بصدق فزادهم هدى، وربط على قلوبهم، وعند ما تعرضوا للفتنة حفظهم وآواهم في الكهف سنين عدداً، وجعلهم آية تتلى إلى يوم القيامة.

١٢- **تعلّمنا سورة الكهف:** الاهتمام بالعمل، والتوجيه إلى إغلاق كثير من ملفَّات الجدل في قضايا عقيمة، لامنفعة منها في حياة الناس ولا في آخرتهم.

ويلاحظ أنه عندما تساءل أصحاب الكهف عن مدة نومهم، لم يتوسعوا في الجدل، وقالوا: **(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ)** [الكهف: ١٩]

وعندما عثر عليهم قومهم المؤمنون، وتنازعوا فيهم، أغلقوا الجدل بقولهم، قال تعالى: **(رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ)**[الكهف: ٢١]

وعندما اختلف الناس في عددهم، نزل التوجيه الرباني لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: **(قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)** [الكهف: ٢٢]

١٣- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ البحث عن أطيب الطعام وأزكاه أمرٌ مشروع، قال تعالى: ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ**﴾[الكهف: ١٩].

كما نتعلم من قوله تعالى: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ**﴾قاعدة من قواعد التعامل مع الآخرين، وهي التلطُّف، فهذه الكلمة القرآنية المباركة نطَق بها أحد فِتية الكهف، وسجَّلها القرآن.

والتاء من قوله تعالى: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ**﴾ هو الحرف الذي يتوسط حروف القرآن الكريم، ومعرفة عدد حروفه: لون من ألوان عناية الأمة به.

١٤- **تعلّمنا سورة الكهف:** سرَّ الترابط بين الأقدار الإلهية والإرادات البشرية، قال تعالى: **(وكذلك أعثرنا عليهم)**[الكهف: ٢١]. فهي كلمات ربانية تختصر لك كثيراً من المشاهد، والشواهد، والأحزان، والآلام، والأفراح أيضاً. وتحمل في طياتها أحداثاً جساماً عبر مئات السنين.

ولفظ **(كذلك)** من الألفاظ المهمة في القرآن الكريم، فقد لاحظت أنه يأتي تعليقاً على الحوادث وبيان أسبابها. ويكشف عن سر الترابط بين الأقدار الإلهية والإرادات البشرية. ويختزل كثيراً من المسافات الزمانية والمكانية والأحوال والمعاني والأشخاص.

١٥- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ مشيءته سبحانه غلبت المشيءات، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤]

كما نتعلَّم منها: أهمية ذكر الله سبحانه، وتعليق الأمور كلِّها بمشيءته تعالى التي غلبت المشيءات، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

قال الإمام ابن الجوزي عن هذه الكلمة العظيمة: "وهي تتضمن إظهار عجز البشرية، وتسليم الأمر إلى قدرة الربوبية"[١].

وقد أدَّب الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك، قال العيني: "وإنما هذا كما اتفق لنبينا لما سئل عن الروح والخضر وذي القرنين، فوعدهم أن يأتي بالجواب غداً، جازماً بما عنده من معرفة الله تعالى وصدق وعده في تصديقه وإظهار كلمته، لكنه ذهل عن النطق بها لا عن التفويض بقلبه، فاتفق أن يتأخر الوحي عنه، ورمي بما رمي به لأجل ذلك، ثم علَّمه الله بقوله تعالى:﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا**﴾[الكهف: ٢٣]"[٢].

وهذا الموقف يذكِّرنا بما وقع لنبي الله سليمان عليه السلام، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِئَةِ امْرَأَةٍ-أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ- كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قل إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ.

---

[١] كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٣٢/١).

[٢] عمدة القاري (٢٤٢/٢١).

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»[١].قال ابن الجوزي في بيان فضل الاستثناء: "وهذه الكلمة لما أهمل ذكرها سليمان في قوله: **"لأطوفنَّ الليلة على مئة امرأة تلد كل امرأة غلاماً"** لم يحصل له مقصوده"[٢].

١٦- **تعلّمنا سورة الكهف:** درساً في الإيمان، قال تعالى: **(أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ)** كلمات عظيمة جاءت في آخر قصة الكهف تعليقاً على هذه القصة العجيبة، بعد تفاصيل دقيقة عنهم. وتعني: ما أبصره وما أسمعه سبحانه! فقد وسع سمعه كل المسموعات، وأدرك بصره كل المبصرات، وأحاط علمه بغيب الأرض والسموات. ومن كان كذلك يجب اعتماد حكمه، والرجوع في كل شيء إليه سبحانه. وصدق الله القائل: **(قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)**[الكهف: ٢٦].

١٧- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ أحكامه سبحانه لا مبدّل لها، وأنَّ الإنسان لن يجد من دون الله ملتحداً يلجأ إليه، قال تعالى: **(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)**[الكهف: ٢٧]

لا مبدّل لكلماته، أي: لا مبدّل لأقضيته وعِداته، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه.

فهو الصادق فيما أخبر، ووعد وأوعد، ولا خلف لمواعيده سبحانه. والعدل فيما أمر ونهى، وقضى وقدَّر، فلا مغيّر لحكمه تعالى. وإذا كان ذلك كذلك، وهو الحق الذي لا ريب فيه، فإنك لن تجد من دون الله ملتحداً تلجأ إليه.

١٨- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ الإنسان إذا اتَّبع هواه، انفرط عقدُ أمره، وعاش حياةَ الضياع، قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[الكهف: ٢٨].

وأنَّ صاحب الهوى يصاب بمرض: حجاب الغفلة، وهو غشاوة تغطي القلب، في منعه من ذكر الله سبحانه، فيكون مأوى الوساوس والشياطين، وقد أغفل قلبه عن ذكره عقوبة له على صدور الغفلة منه، ويلاحظ أنه تعالى قال: **(أغفلنا قلبه)**، ولم يقل: مَنْ غفل قلبه، باعتبار أنه سبحانه هو الخالق، وله العزة في الأولى والآخرة.

١٩- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ الحق سينتصر مهما طالت أيام الباطل. وأنَّ الظلم ساعة، ولكن الحق إلى قيام الساعة. وأنَّ المظلوم إن لم يأخذ ثأره في هذه الدنيا، فإنَّ البعث قريب،قال

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد (٢٨١٩).

[٢] كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٣٢/١).

تعالى: **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)**(الروم: ٥٥)وفي التوجيه النبوي: **"ولكنكم تستعجلون"**[١].

٢٠- ونشهد في قصة أصحاب الكهف يومين عظيمين من أيام الله تعالى: يوم خرج فيه الفتية من المدينة هائمين على وجوههم، خائفين، وقد آواهم الله تعالى. واليوم الذي خرجت فيه المدينة لتشاهدهم وهم في عزة الكرامة واليقين.

ما أجمل تلك اللحظات من عمر الزمن! وما أبهاها من مفاجأة! وكيف كان حال الناس يومئذ وهم يشاهدون الكرامة الربانية التي أكرمهم الله بها! وكم كانت فرحتهم وهم يعيشون يوماً من أيام الله تعالى!

٢١- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ التناقض وعدم الاتّزان سِمة المنافِق والكافر، واقرأ قولَه تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**﴾[الكهف: ٣٦]

٢٢- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ من أسباب الابتلاء إعجاب المرء بماله، وولده، وبيته، وثيابه، وسائر شؤونه، فقد قال صاحب الجنتين بزهو وإعجاب كما أخبر الله عنه: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[الكهف: ٣٤] فكانت نتيجته مفزعة مروعة! قال تعالى: ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ**﴾ [الكهف: ٤٢] ولو أنه سمع نصيحة صاحبه لما عوقب بهذه العقوبة القاسية، قال تعالى: **(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا)**[الكهف: ٣٩]

إنَّ أفضل دواء لداء العجب، أن يقول العبد هذه الكلمة الطيبة المباركة: ﴿**مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ لأنها تعني: إثبات الأمر كله لله سبحانه، وإثبات القوة كلها لله، وبراءة العبد منها، وهي نافعة في كبح زهو الإنسان، وتقال عند الإعجاب بالأشياء مهما تعددت صوره، وتنوعت مصادره.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:«**مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ فَيَقُولُ:﴿مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ﴾ فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ الْمَوْتِ**»[٢]. وكان يتأول هذه الآية.

وقال مطرِّف بن عبد الله: كان مالك إذا أراد أن يدخل بيته فأدخل رجله قال: ما شاء الله لاقوة إلا بالله، فقيل له: إنك إذا أردت أن تدخل بيتك، قلت: ما شاء الله لاقوة إلا بالله، قال: إني سمعت الله قال في كتابه: **(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**[الكهف: ٣٩][١].

---

[١] تقدم تخريجه.

[٢] رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢١٢/٦) (٤٠٦٠).

كما أنَّ قولها بصدق مانع من تأثيرات الحسد، وحافظ من أعين الحاسدين بإذن الله تعالى. وقد نقل ابن كثير في تفسيره عن بعض السلف أنه قال: "من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ﴿**مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[٢]. وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة.

٢٣- **تعلّمنا سورة الكهف:** دقة التعامل مع الله سبحانه، فعند ما نزلت المصيبة بصاحب الجنتين ندم على شركه، فقال: **(يا ليتني لم أشرك بربي أحداً)**[الكهف: ٤٢] لكن الله لم يقبل توبته؛ لأنه لم يكن صادقاً فيها، وإنما تمنى ذلك بسبب ما فقد من جنات وزروع، قال تعالى: **(ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً)** [الكهف: ٤٣] فحسرته كانت على ما فاته من جنان، وليست خوفاً من الديّان، ولا رضا الرحمن سبحانه[٣].

٢٤- **تعلّمنا سورة الكهف:** الإكثار من الباقيات الصالحات، والأعمال المرضيات، قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف: ٤٦]

ومن الباقيات الصالحات: التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، وفي بعض الأحاديث: الحوقلة، وقد ورد فيهن ثماني فضائل، هي:

١) **هنَّ منجيات ومقدَّمات:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خُذُوا جُنَّتَكُمْ**»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: مِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قال: «**لاَ؛ جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهَا يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْجِيَاتٍ، وَمُقَدَّمَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**»[٤].

٢) **هنَّ أحبُّ الكلام إلى الله تعالى:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**أحبُّ الكلام إلى الله أربع، لا يَضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**"[٥].

٣) **وهنَّ أحبُّ إلى النبي** صلى الله عليه وسلم **مما طلعت عليه الشمس:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لأَنْ أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس**"[١].

---

[١] طبقات ابن سعد (٥٧٢/٧)

[٢] تفسير ابن كثير (١٥٨/٥).

[٣] سمعت هذا المعنى من الأستاذ الشيخ عيادة الكبيسي رحمه الله تعالى، عندما كان يفسِّر سورة الكهف على منبر جامع المر في دبي، يوم الجمعة.

[٤] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٣/١٠) والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٨٤)

[٥] رواه مسلم(٢١٣٧)

٤) **وهنَّ عمل قليل بأجور عظيمة:** عن أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَتْ: مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ أَوْ كَمَا قَالَتْ فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ، قَالَ:**سَبِّحِي اللَّهَ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِئَةَ رَقَبَةٍ تُعْتِقِينَهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي اللَّهَ مِئَةَ تَحْمِيدَةٍ تَعْدِلُ لَكِ مِئَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَبِّرِي اللَّهَ مِئَةَ تَكْبِيرَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي اللَّهَ مِئَةَ تَهْلِيلَةٍ-** قَالَ الراوي: أَحْسِبُهُ قَالَ: **تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ بِهِ"**[٢].

٥) **وهنَّ مكفرات للذنوب:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفَّرت عنه ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر**"[٣]. وقدذهب عدد من الصحابة والتابعين إلى أنَّ: "لا حول ولا قوة إلاّ بالله" من الباقيات الصالحات.

٦) **أفضل المؤمنين من أكثر منهن:** عن عبد الله بن شداد: أن نفراً من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **مَنْ يَكْفِنِهِمْ؟** قال طلحة: أنا، قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً فخرج فيه أحدهم فاستشهد، قال: ثم بعث آخر، فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيراً يليه، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ، لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ"**[٤].

---

[١] رواه مسلم (٢٦٩٥)

[٢] رواه أحمد في مسنده (٢٦٩١١)وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٩٢/١٠، وقال: رواه أحمد، والطبراني في "الكبير"، ورواه في "الأوسط" ثم قال: "وأسانيدهم حسنة".

[٣] أخرجه الترمذي، (٣٤٦٠) وحسَّنه.

[٤] رواه أحمد في مسنده (١٤٠١)وأخرجه مختصرًا النسائي في "الكبرى" (١٠٦٠٦) وقال أحمد شاكر في تحقيقه المسند(١٨٠/٢) إسناده صحيح.

٧) **ثقيلات في الميزان:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**بخ بخ**، –وأشار بيده بخمس- **ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر..**"[١].

٨) **تذكّر بصاحبها عند العرش:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ، التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ -أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ- مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟**"[٢].

٢٥- **تعلّمنا سورة الكهف:** التذكير بيوم الحساب، وهو يوم تظهر فيه نتيجة الابتلاء والامتحان، قال تعالى: **(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)** [الكهف: ٤٩]

٢٦- **تعلّمنا سورة الكهف:** الحذر الشديد من إبليس وذريته؛لأنَّهم وراء كل الفتن التي تحدث في الأرض، قال تعالى: ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾[الكهف: ٥٠].

إنَّ الشيطان عدو للإنسان، وله دسائس، وله مصايد، قال تعالى: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}** [فاطر: ٦]

وفي عملية الإغراء والإغواء يستعمل معك خطة منهجية ينفذها خطوة خطوة، قال تعالى: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**(النور،٢١)

أما عن خطواته، وكيف ينفِّذها؟ وما هي أساليبه؟ فقد بيَّنتها في كتابي: الصلاة رحلة الحب والشوق، تحت عنوان: كيف ننتصر في معركتنا مع الشيطان؟[٣].

٢٧- **تعلّمنا سورة الكهف:** أن نحذر في تعاملنا مع الله سبحانه، فإنَّ وعيده ناجز في الظالمين، وهناك مواقيت دقيقة لا تتخلف، فكن على حذر في تعاملك معه، قال تعالى: **(وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا)**[الكهف: ٥٩]

---

[١] رواه ابن حبان في صحيحه (٨٣٣) وغيره.

[٢] رواه أحمد في مسنده (١٨٣٦٢) و (١٨٣٨٨) وابن ماجه (٣٨٠٩)وفي الزوائد:"إسناده صحيح".

[٣] ص: (١٠٢)

٢٨- **تعلّمنا سورة الكهف:** أن نمنع أصحاب الفساد من الإفساد بكل أنواعه، وأنه ينبغي الحجر عليهم، وإقامة الحواجز بينهم وبين الناس، واقرأ قول الله تعالى: **(قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا)** [سورةالكهف ٩٤]

٢٩- **تعلّمنا سورة الكهف:** أن نستفيد الاستفادة القصوى من الخبرات البشرية في التنمية الاقتصادية، وأنَّ عنصر المال ليس هو الأهم في التنمية رغم أهميته، قال تعالى: **(فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ)** وهي كلمة مهمة قالها ذو القرنين، كما حكاها القرآن في قوله: **(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌفَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا)**[الكهف: ٩٥]

وأنَّ بناء السد من النماذج الحضارية التي ذكرت في القرآن الكريم في معرض الثناء والرضا، وهي نافعة في توجيه العقول إلى محاكاة مثل هذه التجربة والاستفادة منها عند الحاجة.

٣٠- **تعلّمنا سورة الكهف:** أنَّ عمى البصيرة مِنْ أشدِّ المصائب التي يتعرض لها الإنسان ويحجبه عن طرق التبصر والهداية، فلا يتفكر بآيات الله القرآنية، ولا يبصر الآيات الكونية،قال تعالى: **(وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا)**[الكهف:١٠٠-١٠١]

وأهل الضلال لهم أعين ولكن لا يبصرون بها، ولهم آذان ولكن لا يسمعون بها رغم أنها تسمع الصم وتبصر الكمه؛ وما ذاك إلا لضعف عقولهم، وغرق استبصارهم في فضولهم. ولهذا فهم كارهون لها، ويثقل عليهم سماعها.

ولكن حينما تعرض عليهم جهنم يوم القيامة فيرونها بأبصارهم، ويسمعون حسيسها بآذانهم يندمون، جزاء وفاقاً، ويقولون كما أخبرنا الحق سبحانه عنهم: **(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأصْحَابِ السَّعِيرِ)** [الملك:١٠-١١]

٣١- **تعلّمنا سورةُ الكهف:** أن يتفقَّد الإنسان نفسه، ويطيل النظر في أحواله؛ خوفًا من أن يُمضي دهراً من عمره وهو من الأخسرين، ويظن أنه من المحسنين! وتأمَّل قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وقد جاء عن مصعب بن سعد، قال: سألت أبي ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا**) هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود، والنصارى؛ أما اليهود فكذَّبوا محمداً صلى الله عليه وسلم، وأما

النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها، ولا شراب. والحرورية: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. وكان سعد يسميهم: الفاسقين[١].

٣٢- **تعلِّمنا سورة الكهف**: أنَّ الكافر لا وزن له يوم القيامة، ولا ينتهي عجبي من أناس يكفرون بلقاء الله سبحانه، ولا يحبونه، ويرغبون عنه!

قال تعالى: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)**[الكهف: ١٠٥] أَمثلُ هذا الرب العظيم يرغب عن لقائه؟

٣٣- **تعلِّمنا سورة الكهف**: أنَّ القرآن قد احتفى بكلمة: ربي، وقد كُرِّر هذا الاسم في القرآن الكريم (٨٤) مرة، منها: (١١) في سورة الكهف، وهي أعلى نسبة في السور القرآنية. ولعل في ذلك إشارة إلى أنَّ الدعاء بهذا الاسم المبارك هو كهف الرحمة. فما أجمل النداء بهذه الكلمة المباركة!

الحلقة الثانية: سورة الكهف والإيمان بالأقدار الإلهية!

إنَّ هذه السورة المباركة تربّي المسلم على الإيمان بأقدار الله تعالى خيرها وشرها، وبيان ذلك بالآتي:

٣٤- إنها تُظهِرُ بصورةٍ واضحةٍ ترابطَ هذه الأقدار، وانتظامها على وجه يعجز العقل البشري عن الإحاطة به. وأنَّ ما يراه الإنسان من الأقدار التي يحسبها من أقدار الشر، ما هي سوى فصل من جملة فصول قد يكون لها وجه من الخير الذي لا نعلمه، وصدق الله القائل: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْءا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْءا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦]

كما أننا نلاحظ كيف تُنسَج أقدار إلهية مِن وراء ستر الغيب لصالح اليتامى، والضعفاء، والمساكين، والمظلومين؟ وكيف ينتصر لهم؟! وسبب ذلك كله صلاحٌ، أو دعاء.

إنَّ سورة الكهف تلقِّن الإنسان درسًا صامتًا عن حكمة الله سبحانه في أقداره، وتدفعه دفعًا أن يلج كهف الرحمة الإلهية ليَشعُر بالدفء، وبرد اليقين، والاطمِئنان. وفيها إعلان ظاهر عن سلطان القدر في حياة البشر. وأنَّ القدرة الإلهية هي المتصرفة في الحياة والأحياء مع ارتباطها بالعدل المطلق.

٣٥- كلما قرأت سورة الكهف انتابَني شعور بأنَّ هناك ارتباطاً وثيقًا بين الكهف والرحمة، وكنت عندما أقرأ قصة الفتية في قوله تعالى: ﴿**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ**

[١] رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الكهف، (٤٤٥١) والحرورية، نسبة إلى حروراء، وهم الخوارج الذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتلوه.

﴿لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، يتأكَّد لديَّ هذا الشعور.

فأن تُنشَر رحمة الله في ذلك الكهف لتلك الفتية الذين آمنوا هو تكريم إلهي، كان استجابة لدعوة انطلقَت من ألسنةٍ صادقة، وقلوب مُخلِصة عندما دعوا ربهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف: ١٠]. وهو كذلك أمل جميل بغدٍ أفضل لكل مُستضعَف في هذه الأرض.

لقد تحوَّل ذلك الكهف إلى رحمةٍ شاملة، وإلى أمٍّ رؤوم تحتضن فِلذات أكبادِها بين ذراعَيها، وتضمُّهم إلى صدرها! بينما تنكَّر لهم البشر، وضاقوا ذرعًا بدينهم الحق، واستقامتهم النقية.

٣٦- وفي سورة الكهف صورة أخرى من صُوَر الكهف الرحيم، ولكن بصورة بشرية هذه المرة؛ وذلك في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضِر عليه السلام، وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

إنَّ هذا الرجل الذي تحوَّل مِن وراء ستر الغيب إلى كهفِ الرحمة يُحيط باليتامى، والضعفاء، والمساكين، ويضمُّ بين جنباته المظلومين، ويَنتصر لهم!

نعم في هذا الكهف، ومِن وراء ستر الغيب كانت تُنسَج أقدار إلهية لصالح هؤلاء، سببها صلاحٌ، أو دعاء!

٣٧- ولا ننسى قصة ذي القرنين الذي مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء سببًا، وهو صورة أخرى من صور كهف الرحمة، فقد طُلب منه أن يَبني سدًّا ليكون حاجزًا يحجز يأجوج ومأجوج عن إفسادهم، فلما انتَهى من بنائه، ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ الآية[الكهف: ٩٨] ولهذا تتأكَّد قراءة سورة الكهف في زمن الفتن الكبيرة، والمِحَن العظيمة؛ لتعطي الأمل المنشود لكل خائف، ومُستضعَف!

الحلقة الثالثة: تحقيق العدالة الإلهية بقوانين استثنائية

مَنْ تأمَّل أحداثَ سورة الكهف، يرَ أنَّها تُطلعنا على القوانين الاستثنائية في تحقيق العدالة الإلهية، وسبب ذلك إيمان، أو صَلاح، أو دعاء. وقد كانت التربية في هذه السورة المباركة عن طريق القصص الأربع التي ذكرت فيها.

وبيان ذلك بالآتي:

٣٨- حَمى الله سبحانه الفِتيةَ في الكهف هذه السنين الطويلة كما أَخبر اللهُ سبحانه؛ حماية لحقِّ الإيمان بالله والدار الآخرة، وتثبيتًا لهما في القلوب.

واقرأ قولَه تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا**﴾[الكهف: ٢١] وكان ذلك بقانون استثنائي، سببه دعاء صادِق من قلوب مؤمنة مخلِصة مضطرة، قال تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[الكهف: ١٠]

٣٩- واقرأ قصة صاحب الجنتين الذي قال بزهو وإعجاب: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[الكهف: ٣٤] إنه رجل غافل، وآية غفلته أنه قال عن جنته: ﴿**مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**﴾ ولكنَّ الله خيَّب ظنه، فأصيبت جنته بعارض سماوي فأهلكها!

لقد كانت عقوبته معجَّلة، وكان هذا الهلاك بقانون استثنائي عادل في تحقيق العدالة الإلهية، لماذا؟ لأنه كفر نعمة الله سبحانه، ولم يؤد شكرها، واستمعْ إلى الآيات التي نزلت فيه، على لسان صاحبه المؤمن:

﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٣٩ - ٤٢]

٤٠- وأما السفينة التي خرَقها الخضر عليه السلام، فقد كانت لمساكين طيِّبين يعملون في البحر، وقد ساقَته يد القدَر لإنقاذها رحمةً بهم من مَلِك متكبِّر، كان يريد اغتصابها من هؤلاء الضعفاء.

٤١- تأمَّل معي قصَّةَ الغلام الذي قتلَه الخضر بأمر الله تعالى، كما جاء في الآية: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾[الكهف: ٨٢]

إنَّ هذا الغلام الشَّقي سيُرهق والديه المؤمنينِ بطُغيانه، فماذا سيفعل بعد ذلك بالعباد والبلاد؟ والجواب: ربما سيكون فِعله مشابهًا لِما فعله فرعون، وما فعله بعد ذلك: هولاكو وتيمور لنك، وهتلر، وغيرهم من الطُّغاة!

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الغُلامَ الذي قتلهُ الخَضِرُ طُبِعَ كافراً، ولو عاشَ لأرْهَقَ أبويهِ طغياناً وكُفْراً**»[١].

[١] رواه مسلم(٢٦٦١)

إنَّ الإيمان الصَّادق من أسباب مَنع الطغيان، وقد تقتضي الحكمة الإلهية القضاء على الطغاة بقانون استثنائي إلهي عادل، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾[الكهف: ٨٠، ٨١].

٤٢- وأمَّا الجِدار الآيل للسُّقوط في تلك القرية، فقد أقامه رغم بُخل أهلها؛ حفظاً لكنز مدفون تحته، من والِدينِ صالحين لولدينِ صغيرين.

وقد حَفِظه الحقُّ من الضياع إلى ﴿**أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**﴾[الكهف: ٨٢] وقد هيَّأ الله لحفظ ذلك الكَنز: موسى عليه السلام، والخضر؛ بسبَب صلاح ودعاء!

٤٣- هيَّأ الله سبحانه وتعالى الرجلَ الصالح ذا القرنين، فبنى السد، ولولا عمله هذا، لكان آثار طغيان يأجوج ومأجوج في الأرض مدمِّراً للحياة والأحياء!

الحلقة الرابعة: الدروس المستفادة من قصة موسى والخضر

هذه حلقة رابعة خصصتها للدروس المستفادة من قصة موسى والخضر، وهي من عجائب القصص، وفيها فوائد عظيمة[١]، لعل من أهمها:

٤٤- أنها تُظهِرُ شرف العلم، ومنزلته عند الأنبياء؛ فإنَّ موسى عليه السلام، وهو النبي المرسل، ومن أولي العزم رحل في طلب العلم، وواجه في رحلته المشاق والصعاب بحثاً عن الرشد.

وسبب هذه القصة كلمة نطق بها الكليم موسى عليه السلام في آخر حياته عندما كان مع بني إسرائيل في سيناء، وهي قوله: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**قَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، خطيبا في بني إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فقال: أَنَا أَعْلَمُ، قال: فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قالَ مُوسَى: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ لِي بِهِ؟**".

وفيه:"**قال: أَنَا مُوسَى، قال: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قال: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، عَلَّمَكَهُ اللَّهُ، لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، عَلَّمَنِيهِ، لَا تَعْلَمُهُ**"... الحديث[٢].

وقد كانت هذه القصة وغيرها من النصوص الواردة في فضل العلم من المحفزات التي دفعت الأمة إلى التفاني في طلب العلم، وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحصيله.

---

[١] كتبت هذه الفوائد من قراءتي لسورة الكهف ليلة الجمعة، الثالث عشر من شهر الله المحرم، (١٤٣٧)

[٢] أخرجه مطولا البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١٢٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠).

٤٥- في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾[الكهف: ٦٠] درس من أهم دروس الإدارة الناجحة، وهو التصميم على بلوغ الأهداف مهما كانت الظروف صعبة.

وفيه: أنَّ الحرص على العلم فضيلة مهما كانت مشقته، ومهما بذل من زمن في سبيل الوصول إليه؛ فإنَّ موسى عليه السلام هو من أولي العزم من الرسل، قد وصل إلى الغاية في العلم والعمل، ومع ذلك كان حريصاً على العلم، فهو يقول: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: لا أزال سائراً ولو أمضيت زمناً طويلاً، في سبيل الوصول إلى بغيتي في لقاء الرجل الصالح. فكيف لو كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟ فماذا سيقول؟ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[١].وهي شهادة نبوية لحرص موسى عليه السلام على العلم، ودعوة للأمة أن تقتدي به في ذلك.

٤٦- في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾[الكهف: ٦٢]

إرشاد إلى اتخاذ الرفقة في السفر، لما في ذلك من عون على مشقاته، ودفع آفاته، والأنس في غرباته، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :«**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَرَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**»[٢].

كما أنَّ قوله تعالى:﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾[الكهف: ٦٢] يشير إلى أنَّ السفر فيه التعب، وفيه مفارقة الوطن والأهل والأحباب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ**»[٣]. ومن مساؤى السفر: الغربة، وهي تفقد الإنسان ملكات ومشاعر لا يمكن تعويضها!

٤٧- في قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾[الكهف: ٦٣]أنَّ النسيان من أقدار الله تعالى، فلا تلم أحداً عليه، فقد يكون في طي هذا النسيان خير ينتظرنا، وقد قال الله تعالى على لسان موسى بعد نسيان الحوت: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف:٦٤، ٦٥]

٤٨- قال تعالى: (**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا**

[١] رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٣٤٩) (١٥١٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٧٤) (٨٠٨) وقال: "رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وفيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما".

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب السير وحده (٢٩٩٨).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب السرعة في السير (٣٠٠١).

عِلْمًا)(الكهف: ٦٥)

ويلاحظ أنَّ الحق سبحانه قدَّم صفتي العبودية والرحمة على العلم؛ وفي ذلك إشارة إلى أنَّ العالم الرباني هو مَنْ يتصف بالرحمة والعبودية قبل العلم. وقد لاحظت أنَّ العالم إذا لم يتصف بهما أصابه الطيش والغرور، وكان ضرره أكبر من نفعه.

ويلاحظ أنَّ الله تعالى قدأعطى العبد الصالح الخضر عليه السلام ثلاث عطايا إلهية: نسبه الحق تعالى إلى نفسه. وآتاه رحمة من عنده. وعلَّمه من لدنه علماً.

فلا عجب أن يكون الخضر بعد هذه العطايا وسيلة من وسائل الرحمة، ومعلِّماً للخير، ومصدراً من مصادر تعلُّم الرشد في الأرض، حتى احتاج إليه كليم الله موسى عليه السلام. وما أجمل هدايا الرحمة الإلهية عندما تحيط بالعبد، وتغمر حياته، وتطيب نفسه، وتجعله من المقربين عنده، إنها عطايا خاصة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم.

٤٩- قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف: ٦٦]

قال ابن الجوزي: "هذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم، واتباع المفضول للفاضل طلبا للفضل، وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب"[١].

وقال الرازي: "هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الأدب واللطف عند ما أراد أن يتعلم من الخضر"[٢]. وقد استنبط منها الرازي اثني عشر درساً، قمت بتلخيصها مع إضافة بعض النصوص المفيدة عليها في الآتي:

٥٠- **(هَلْ أَتَّبِعُكَ):** جعل نفسه تبعاً له، وهذا منه ابتداء بالخدمة، ثم استأذن في إثبات هذا التبعية. وكانت هذه المتابعة مطلقة في جميع الأمور غير مقيدة بشيء دون شيء. ولم يطلب عليها شيءاً من مال أوجاه، إذ لا غرض له إلا طلب العلم. وإذا كانت المتابعة هي الإتيان بمثل أفعال الأستاذ لكونه آتيا بها؛ فهذا يعني أن على المتعلم في أول الأمر التسليم وترك المنازعة والاعتراض.

- ﴿**عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ**﴾: بعد التسليم المطلق له بقوله: "هل أتبعك" طلب موسى عليه السلام أن يعلِّمه، وطلب التعليم إقرار له على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم، وهذا مبالغة عظيمة في التواضع.

- ﴿**مِمَّاعُلِّمْتَ**﴾:طلب منه تعليم بعض ما علَّمه الله، وأن يعامله بمثل ما عامله الله به،

[١] زاد المسير (٥/ ١٦٩)

[٢] تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٣)

أي: يكون إنعامك عليَّ عند تعليمك إيَّاي شبيهاً بإنعام الله عليك في هذا التعليم. وهو اعتراف بأنَّ الله علمه ذلك العلم، وأن يعامله بمثل ما عامله الله به.

٥١- ﴿**رُشْدًا**﴾: طلب منه الإرشاد والهداية، قال ابن كثير: "أي: مما علمك الله شيءاً، أسترشد به في أمري، من علم نافع وعمل صالح"[١].

والرشد أمره عظيم، فحين أوى الفتية إلى الكهف قالوا: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[الكهف:١٠].

وحين خاطب الله نبيه محمدا قال له: ﴿**وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾[الكهف:٢٤] وحين بلغ موسى الرجل الصالح لم يطلب منه إلا أمراً واحداً هو: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف: ٦٦] وإذا وهبك الله الرشد فقد أوتيت خيراً عظيماً.

٥٢- وقصة موسى مع الخضر تعلِّمنا التواضع، وتكشف عن جهلنا رغم تقدمنا التقني، وتخلصنا من الافتتان بمقررات العلم ونتائجه؛ لأنَّ نتائج العلم المبهرة يجب أن تكون وسيلة للدلالة على الله سبحانه، وليس وسيلة للكفر به، والابتعاد عن شرائعه.

إنَّ موسى عليه السلام لما تواضع للخضر في طلب الرشاد نال المراد. ولما وقعت المنازعة حصلت المفارقة، وإليها إشارة النبي صلى الله عليه وسلم: «**يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا**»[٢].

٥٣- العلم ليس لطلبه نهاية، قال تعالى: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ [الكهف:٦٦] قال التابعي الجليل قتادة: "لو كان أحد منا مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى عليه السلام"[٣].

٥٤- ويؤخذ من قوله تعالى: (**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**)[الكهف: ٦٦] من طريق الإشارة أنَّ صحبة العلماء والمربين، والأخذ عنهم، والتأدب بأدبهم هي من أهم أساليب التربية والتعليم، وأكثرها تأثيراً، وأعظمها بركة.

ومن المعلوم في كليات الطب أنَّ التدريب العملي مع طبيب متمرس هو من أهم مراحل الدراسة، وشرط من شروط التخرج. وكان التدريب العملي وملازمة العالم معمولاً به في تدريس العلوم

---

[١] تفسير ابن كثير (١٦٣/٥).

[٢] جزء من حديث أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١٢٢).

[٣] انظر التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٨).

الشرعية، لكن مما يؤسف له غياب ذلك في غالب برامج التعليم المعاصرة!

وقد لاحظت في هدي النبوة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم أصحابه، بالحث على صحبته، والاقتراب منه، والتلقي عنه. وقد جاء عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يليَه المهاجرون والأنصار في الصلاة ليأخذوا عنه"[١].

٥٥- في قوله تعالى:﴿**إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾(الكهف: ٦٧)

أنَّ الصدق والوضوح من أجمل الأمور في التعامل مع الناس، ومَنْ كان واضحاً استراح وأراح، وفي الأمثال: (الذي أوله شرط، آخره نور)

٥٦- قوله تعالى: ﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: ٦٩]يدل على أنَّ من مهارات التعلم: الصبر على المعلم، والامتثال لتوجيهاته، وعدم عصيانه، وأنَّ تحصيل العلم يحتاج إلى صبر طويل.

ومن قرأ تاريخنا العلمي يجد أنه ما نبغ من نبغ إلا بالصبر الطويل، ولقاء العلماء، والأخذ عنهم، والرحلة إليهم، وملازمتهم، وأنَّ الصبر على العلم يأتي بالعجائب، وتاريخنا العلمي حافل بالإنجازات العظيمة، ولولا صبر العلماء لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وقد قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عن فراق الخضر لموسى:"**يَرْحَمُ الله مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا**"[٢].

٥٧- يؤخذ من قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**)(الكهف: ٧٠) أنَّ سببَ اشتراط الصبر على موسى، وعدم إجابته مباشرة؛ هو "وضعه في التجربة؛ ليثير في نفسه التأمل والتفكير، وليحوّل موسى عليه السلام من توقع الخبر التفسيري لكل فعل، إلى تأمل الفعل". فهي إذن استراتيجية تعليميةٌ بامتياز[٣].

٥٨- قوله تعالى:﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خرقها**﴾[الكهف:٧١] فيه: أنَّ من أهم دروس العلم، وأجملها ما يتلقاه الإنسان من مواقف الحياة اليومية، وهذا ما فعله الخضر مع موسى عليه السلام.

---

[١] رواه النسائي في فضائل الصحابة (٢٠٦)

[٢] تقدم تخريجه.

[٣] مستفادة من الأخ محمد أبو القاسم حاج حمد.

كما يستنبط منه قاعدة عظيمة مفيدة في شؤون الحياة، وهي: ارتكاب أخف الضررين، وأهون الشرين؛ لأنَّ خرق السفينة وعيبها ضرر، لكن يدفع بذلك ضرر أعظم منه، وهو مصادرة السفينة من قبل الملك الظالم إذا كانت سليمة.

٥٩- قال تعالى على لسان موسى عيه السلام: **(لَقَدْ جِئْتَ شيءا إِمْرًا)** (الكهف: ٧١) وقال أيضاً: **(لَقَدْ جِئْتَ شيءا نُكْرًا)**(الكهف: ٧٤)

قال المفسِّر القصَّاب: "قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، وغير مالكة للصبر على احتماله؛ لأنَّ موسى عليه السلام وعد الخضر أن يصبر على ما يراه منه، فلما رأى ما رأى أنكره عليه"[١].

٦٠- حكى الحق سبحانه عن نبيه موسى عليه السلام قوله: **(قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)** (الكهف: ٧٣) ويؤخذ منه: مشروعية أن يطلب الطالب من أستاذه التيسير، فقد قال الزجاج: والمعنى: عاملني باليسر لا بالعسر.

٦١- نتعلم من قوله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [الكهف: ٧٧] درساً مهمّاً من دروس علم الاقتصاد؛ وهو إصلاح ما يمكن إصلاحه من ممتلكاتنا، كما أننا نتعلم من إقامة الجدار درساً في العمل التطوعي الذي لا يبتغي صاحبه الأجر إلا من الله تعالى.

٦٢- في قوله تعالى: حكاية عن قول الخضر لموسى: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾[الكهف:٧٨] درس مهم في شؤون الإدارة والاجتماع؛ وأنَّ مفارقة الخضر لموسى في المرة الثالثة من اعتراضه تفيد بأنَّ تجربة الناس ومعرفة طباعهم وكشف أحوالهم تثبت من مرتين، سمعت هذا المعنى من الشيخ جلال الحنفي وكان يقول: وبعدها الاستمرار أو الفراق.

وهذا يدل على أنَّ (الثلاث) لها اعتبار في التَّكْرار ونحوه، فيعذر في الأولى، وتُقام عليه الحُجَّة بالثانية، ولا يُعذر بالثالثة، ويؤيده أن الله جعل الطلاق مرتين، والفراق بعد الثالثة، فقال: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ**﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ثم قال: ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا**﴾ أي: الثالثة ﴿**فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾[البقرة: ٢٣٠] وهكذا فارق الخضِر موسى بعد الثالثة، حيث قال: ﴿ **إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا**﴾ [الكهف: ٧٦]، ثم قال: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾ [الكهف: ٧٨]

[١] نكت القرآن، لمحمد بن علي الكرجي القصاب (٢١٥/٢) طبعة دار القيم –الرياض، ط١، ١٤٢٤.

وقال الإمام ابن عطية: "ويشبه أن تكون هذه القصة أصلاً للآجال في الأحكام التي هي ثلاثة أيام، وأيام التلوّم ثلاثة"[١].

٦٣- قال تعالى: ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾[الكهف:٧٨]"قال أرباب المعاني: هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر حجة على موسى عليه السلام، وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودي يا موسى: أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحاً في اليم؟ ولما أنكر قتل الغلام قيل له: أين إنكارك هذا ووكز القبطي والقضاء عليه؟ ولما أنكر إقامة الجدار نودي: أين هذا من رفعك الحجر لبنتي شعيب عليه السلام بدون أجرة؟"[٢].

٦٤- في قصة الخضر مع موسى تكرر لفظ الإرادة ثلاث مرات:

١- إرادة بشرية محضة، قال تعالى على لسان الخضر: **(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)**[الكهف:٧٩]

٢-ارتباط دقيق بين الإرادة البشرية والأقدار الإلهية، قال تعالى: **(وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)**[الكهف:٨١،٨٠]

٣-إرادة إلهية، وقدر إلهي محض، قال تعالى: **(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ)** [الكهف:٨٢] وهي تظهر الترابط بين الإرادة البشرية والقدر الإلهي. والله أعلم بأسرار كتابه.

وقال الفخر الرازي في تفسيره: "كيف اختلفت الإضافة في هذه الإرادات الثلاث وهي كلها في قصة واحدة وفعل واحد؟ والجواب: أنه لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه فقال: أردت أن أعيبها.

ولما ذكر القتل؛ عبَّر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية.

ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى؛ لأنَّ المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى"[٣].

٦٥- في قوله تعالى: ﴿**فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ**﴾[الكهف:٨١] أنَّ الفقد ليس خسارة

---

[١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٦١)

[٢] انظر البحر المحيط لأبي حيان، ونقله عنه الألوسي في تفسيره روح المعاني.

[٣] (٤٩٣/١٢)

عند المؤمن؛ لأنَّ الله سبحانه كريم ما منعك إلا ليعطيك أعظم مما فاتك. وقد قال شيبان الرَّاعي لسفيان الثَّوري رحمهما الله: "يا سُفيان: عُدَّ منع الله إيَّاك عطاءً منه لك؛ فإنَّه لم يمنعك بُخلاً؛ إنَّما منعك لُطفاً"[١].

٦٦- في قوله تعالى:﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾[الكهف:٨٢] دليل على أن صلاح الآباء له أثر عظيم في صلاح الأبناء، قال ابن عباس: "حفظا بصلاح أبويهما".

وقال محمد بن المنكدر: "إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده، وولد ولده، وعترته، وعشيرته، وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم".

وقال سعيد بن المسيب: "إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي".

وقال ابن كثير: "فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم"[٢].

الحلقة الخامسة: الخاتمة

٦٧- يلاحظ أنَّ هذه السورة ذكرت ما أعدَّ الله سبحانه للمؤمن الذي يعمل الصالحات من أجر عظيم، وتم تأكيد ذلك في ثلاثة مواضع من سورة الكهف:

في بداية السورة، قال تعالى: **(وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا)**[الكهف:٢،٣] أي: في الجنة.

ثم فصَّل في وسط السورة، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)**[الكهف:٣٠،٣١]

وفي نهاية السورة، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا)**[الكهف:١٠٧،١٠٨]

وقد ختمت السورة بمقارنة رائعة بين الأخسرين أعمالاً، كما قال تعالى: **(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ**

---

[١] صيد الخاطر، لابن الجوزي (٣٢٨).

[٢] انظر هذه النقول في تفسير البغوي (١٩٦/٥)، وتفسير ابن كثير (١٦٨/٥).

جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا)[الكهف:١٠٣،١٠٦] وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنَّ الفردوس نزلهم لا يتحولون عنها إلى غيرها، لقاء ثباتهم على دينهم الحق.

٦٨- ويلاحظ أنها ختمت بالحديث عن كلمات الله سبحانه، المباركة الطيبة الشافية النافعة، وفي ذلك إشعار بأنَّ المتمسك به ينال هذه البركات، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[الكهف: ١٠٩]

وقد ذكر العلماء في معنى كلمات الله عدة أقوال، أهمها:

١-هي كلامه سبحانه على الإطلاق، ومن ذلك: القرآن الكريم، والكتب المنزلة على أنبيائه عليهم السلام.

٢- هي كلماته التي يقول للشيء كن فيكون، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[النحل: ٤٠]

٣- هي أقضيته وعاداته التي تتضمنها كلماته سبحانه، كقوله: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا**﴾[الأعراف: ١٣٧] وكلمته هي قوله: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ [القصص: ٥]

٤- هي أسماء الله الحسنى؛ لأنَّ المستعاذ به من الكلمات إنما يصح ويستقيم أن يكون بمثلها.

وقد علَّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نلجأ إلى الله تعالى بكلماته التامة، فكان يدعو بقوله: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»[١]. وهو دعاء فيه معانٍ عظيمة في الالتجاء إليه سبحانه، والدخول في كهف رحمته الآمن، وكنف أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وكلماته التامات، فهي الكاملات فلا نقص فيها ولا عيب، النافعات التي تنفع المتعوّذ بها، وتحفظه وتكفيه، الشافيات من الهواجس والآفات، المباركات التي لا تخفق معها طلبة، ولا ترد حاجة[٢].ولو تفكر المسلم فيها لنفعته نفعاً عظيماً في دنياه وآخرته.

٦٩- من المناسبات الجميلة بين فاتحة هذه السورة وخاتمتها، أنها افتتحت بقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**﴾[الكهف: ١٠٩]

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده (٤٥/ ٨٨) (٢٧١٢٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧٠٨)، دون قوله: "كلها".

[٢] انظر: كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٤١٤/٢)، وشرح المشكاة، للطيبي (١٣٣٧/٤)، وفيض القدير، للمناوي (١/ ٢٨٨) (٤٥٧).

واختتمت بقوله: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف: ١٠٩] وبما أنَّ هذا الكتاب هو آخر الكتب المنزلة، فقد أشار الحق إلى أنَّ كلماته سبحانه لا تنفد.

٧٠- يلاحظ أنَّ الآية الأولى من هذه السورة قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا* قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾[الكهف: ١، ٢] والدرس الذي نستفيده منها، هو: التمسُّك بالقرآن الكريم الذي ليس فيه اعوجاج ولا خلَل.

كما أنَّ آخر آية منها، هي:قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[الكهف: ١١٠]والدرس الذي نستفيده منها، هو: أنَّ العمل الصالح وَفق منهج هذا الكتاب يوصلنا إلى لقاء الله سبحانه.

ونحن نشهد في هاتين الحكمتين ملمحاً من ملامح الترابط الجميل بين فاتحة هذه السُّورة وخاتمتها. وكل ما جاء في هذه السورة من تفاصيل وأحداث يَهدف للوصول إلى هذه النتيجة. فسبحان الله مِن ملكٍ جليل ما أجلَّ كلامَه، وأحسَنَ بيانَه!

أهم المصادروالمراجع

١- إحياء علوم الدين،لمحمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.
٢- الأذكار، للنووي، تحقيق محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق – بيروت. ط:٢، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠.
٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء- مصر، ط:١، ١٤١٩.
٤- الأم،لمحمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩٣.
٥- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي دار الفكر – بيروت.
٦- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩.
٧- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، طبعة مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢٠.
٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه للبخاري، طبعة دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، ط١، ١٤٢٢هـ.
٩- الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي، دار الفكر – بيروت.
١٠-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ
١١-زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١،-١٤٢٢هـ
١٢-سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني- السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ- ٢٠٠٠
١٣-سنن ابن ماجه، طبعة دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩.

١٤- سنن أبي داود، طبعة دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ.
١٥- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.
١٦- السنن الكبرى، للبيهقي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
١٧- السنن الكبرى، للنسائي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
١٨- سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.
١٩- شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٢٠- شعب الإيمان،للبيهقي، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، مكتبة الرشد- الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي -الهند، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣.
٢١- عمل اليوم والليلة، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٢٢- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، لمحمود بن محمد العيني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٩٨٠.
٢٣- فضائل القرآن لابن الضريس، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر دمشق –١٤٠٨.
٢٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
٢٥- الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠١.
٢٦- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لعبد الرحمن بن علي المعروف بـ ابن الجوزي، تحقيق: علي حسن البواب، دار الوطن- الرياض.
٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي- القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤.
٢٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٩- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠.
٣٠- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.
٣١- مسند أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١.
٣٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٣٣- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، شركة دار القبلة- السعودية، ط١، ١٤٢٧.
٣٤- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٣.
٣٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير للبغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧.
٣٦- معرفة السنن والآثار، للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي،، ط١، ١٤١٢هـ.
٣٧- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٣٨- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، دار الكتاب المصري- القاهرة، ودار الكتاب اللبناني- بيروت.
٣٩- المغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار عالم الكتاب- الرياض، ط٣، ١٤١٧-١٩٩٧.
٤٠- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.